آلام تجربة الهوى بكل ما يشوبها من معان وصور ، وبين عمر الذى لم يشغله من عالم المرأة سوي الاستمتاع بالنظر إليها على نحو ما فلسف به خلاصة اتجاهه فى قوله :

إنى امرؤ مولَعٌ بالحسن أتْبعَـــــهُ لاحظٌ لى فيه إلا لذّةَ النظَـــــرِ

وهو المنطلق الذى بنى عليه فروسية المغازل الذى لا يفتأ يواجه القوم ويدّعى أمامهم البطولة وقوة المغامر :

فقُلت أباديهم فإما أفوتُهـــــــم وإمّا ينالُ السيفُ ثأراً فيَثْـــــأرُ

بينما ظل جميل حبيس تلك القضية التى أفزعته ، وحجبت عنه كثيرا من متعة اللقاء التى مثّلت لديه أقصى درجة للطموح ، فى وقت راح فيه يعرض حقيقة تجربته ، وأبعادها القاتمة من واقع تقاليد البادية :

وإنى لأرضَى من بثـــينةَ بالّذى لو ابصَـره الواشى لقـرَّتْ بلابلُهْ
بلاَ وبأنْ لا أســـتطيعَ وبالمُنىَ وبالأمل المرجُـوِّ قـد خـاب أمله
وبالنظرةِ العَجْلى وبالحَوْل تَنْقضَى أواخـــرهُ لا نـلتـــقى وأوائله

ففى إطار هذا البعد التجريبى يبدو الشاعر خائفاً فزعا ، فإن نطق بغير اسمها فبأمر منها ، فى سبيل تلك التقية التى قصدا إليها معاً : الشاعر ومحبوبته .

وفى لوحات أخرى تبرز قدرية جميل في تسليمه بمرارة واقعه الذي عجز عن تخطيه أو محاولة تجاوزه ، وكيف ذلك وهو محكوم بعالم العذرى بين حس القبيلة وبين الحس الدينى ، فليس أمامه إلا أن يلعق جراحه فى ظلال غربته عن الديار ، وخشية أبناء العمومة ، وكذا خوفه من ربه فى ظلال حب ثابت لديه لا يتغير ، وهو ما يتناقض تماما مع المسلك العمرى الذى لم يقف عند شئ من هذا كله لأنه لا يعترف إلا بتفُّرد مسلكه ، ولايتوقف إلا عند حركة المغامرة الغزلية التى يصورها من منطق الشاب الماجن .

ولاشك أن أسلوب المعالجة قد حدثت فيه مفارقات ، طبقا لمفارقة الرؤى الغزلية ذاتها يكشفها تأملنا لاستمرارية عالم البطولة أو منطقة الحوار ، أو أسلوب تحريك الحدث ، أو القصد إلى التصوير ، ليبقى بين أيدينا الدليل واردا حول ذلك النوع من القصد إلى المعارضة بهذه الصورة الواضحة ، تلك التى يغلب عليها الجانب الشكلى مع استمرار مفارقات التجارب